راهن الشِّعر العربي.. بين التجدّد والانسحاب لصالح الرواية
عن تأثير العولمة في المنجز الشِّعري.. مقاربة وصفية

The bet of Arab poetry ... between renewal and withdrawal in favor of the novel
On the impact of globalization on poetic achievement. Descriptive approach

د. البشير ضيف الله
Bachir DAIFFALLAH
-أستاذ النّقد المعاصر -جامعة يحي فارس/المدية
bichrhamam@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/03/22 تاريخ القبول: 2021/05/15 تاريخ النشر: 2021/07/10

ملخص:
إنّ خصوصية الخطاب الشعري المتعالي تفرض طرح أسئلة عميقة عن جدوى الشعر في زمن العولمة، أو بعبارة أخرى عن جدوى الشعر في عصر "النّزوح" نحو الرواية بوصفها واقعا أدبيا جديدا رغم قدرة الشعر على التماهي في الأجناس الأدبية الأخرى.. فالشعر موجود في كل مكان -كما يقال- أي أنّه قابل للاندماج في المسرح والرواية والموسيقى والرسم وحتى بعض الومضات الإشهارية العصرية، ومن الطبيعي أن يكون دوره حاضرا ومأمولا في رهانات "العولمة" لكنه لن يكون أكثر رواجا من "الرواية" التي تشهدُ حضورا لافتا قد يكون للصناعة "الثقافية" و"السينما" يدٌ فيه وهو ما جعل كثيرا من الشعراء يشعرون بالغبن والتهميش، بل إن هناك من الشعراء مَنْ تحوّل إلى كتابة الرواية فعلا، ويمكن الإشارة إلى الشّاعر اللبناني "بول شاوول" إذْ يؤكّد أن "العولمة" همّشت الشعر وأعلنت نهايته وانحصاره لصالح الرواية ..فهل انتهى زمن الشعر فعلا؟ أمْ أنّ "ديوان العرب" كان وسيبقى سيد المعنى يعلو ولا يُعلى عليه؟
كلمات مفتاحية: الشعر، الرواية، الأجناس الأدبية، العولمة، المعنى.

Abstract: The particularity of the transcendent poetic discourse requires us to question deeply about the usefulness of poetry in the era of globalization, in other words on the usefulness of poetry in the era of "emigration" to the novel as new literary reality despite the ability of poetry to identify with other literary races. Poetry is everywhere - as they say - that is to say, it is capable of fitting into theater, novels, music, painting and even some modern advertising flashes. It is natural that its role is present and hoped for in the bets of "globalization", but it will not be more popular than the "novel" which testifies to a remarkable presence that can have the "cultural" industry and the "cinema" takes part in it, which has made many poets feel marginalized and oppressed, Indeed, there are poets who have indeed turned to the writing of the novel, and it is possible to refer to the Lebanese poet, Paul Shaoul, who asserts that "globalization" has marginalized poetry and announced its end and its confinement for the benefit of the novel. So is the era of poetry really over?Or was “Diwan Al Arab” and will he remain the master of meaning beyond?
Keywords: Poetry; Novel; Literary genres; Globalization; Meaning.

المؤلف المرسل:د. بشير ضيف الله الإيميل: bichrhamam@yahoo.fr

مدخل: الشِّعر "أوكسجين" الأمة العربية وأقنومها الأول، وشاهدها عبر مختلف العصور، وهاجسها الإبداعي حتى قيل "الشعر ديوان العرب"، فهو لصيق بحلها وترحالها، بحركاتها وسكونها، بمآسيها وأفراحها، وأصبح بذلك صفتها الإبداعية الثابتة، ولعلّ المستشرق الألماني "نولدكه" لم يخطئُ الوصف بقوله: "العرب ولدوا جميعا شعراء" ولعلّ طبيعة التّمرد المحرّكة للنّص الشعري في راهنيته تجعله في صميم التحولات التي فرضتها "العولمة" مثله مثل باقي الفنون والآداب، وكان طبيعيا أن يعيش حالة من"التشظي" والقلق والانفتاح أو حالة من "الارتداد" في نظر "المتأصلين" الحريصين على "نقاء" الجنس الأدبي، فاختلفت الرؤيا وانفتح الشعراء على عهد جديد بظهور "قصيدة النثر" الممارسة لعملية محو "الفوارق الأجناسية"، المبشّرة بدور مختلف وجريء للشاعر في سياق محيطه "الكوني" الصّغير المنفتح على عوالم الشعر العالمي والغربي بالخصوص، والشعر العربي من هذا المنظور "جزء من تحولات حاصلة في الشعر الغربي عموما، وبذلك تحدث هجرة معرفية ونصية من وإلى.. ويتم كل ذلك عن طريق شبكة الإنترنت والوسائط الاتصالية الأخرى، فالتكنولوجيا تقدم بعض الإمكانات المثيرة عن طريق الكمبيوتر وبعض الأساليب المفيدة للعرض والبيع، والأدب عموما والشعر خصوصا يواجه تغييرات في التوزيع عميقة المغزى مثل الموسيقى.." (بن خليفة، 2007، صفحة 38) ومختلف الفنون والآداب الأخرى، ممّا أسهم في تأثيث الرؤى والمعاني، واكتشاف زوايا أخرى مضيئة في بلورة وعي إنساني جديد يضع النتاج الأدبي على المحكّ، ويربط علاقة تفاعلية "إيجابية مع المتلقّي الواقعي والافتراضي كيفما وأينما كان دون "خلفيات" مُسْبقة، فالشعر استفاد من تجربة "العولمة" واستوعب تمثلاتها، والشعر في هذه الحالة "محرك العولمة ما دامت تستهدف تطور الإنسان.." (بن خليفة، 2007، صفحة 39)

إنّ خصوصية الشعر القابلة للتماهي مع الأجناس الأدبية الأخرى هي التي جعلتنا نعرّجُ على هذا الجانب قبل ولوج عالم الرواية فالشعر موجود في كل مكان –كما يقال- أي أنّه قابل للاندماج في المسرح والرواية والموسيقى والرسم وحتى بعض الومضات الإشهارية العصرية، ومن الطبيعي أن يكون دوره حاضرا ومأمولا في رهانات "العولمة" لكنه لن يكون أكثر رواجا من "الرواية" التي تشهدُ حضورا لافتا قد يكون للصناعة "الثقافية" و"السينما" يدٌ فيه وهو ما جعل كثيرا من "الشعراء" يطرحون سؤال الجدوى، جدوى الشعر في زمن "الرواية"-بل أن هناك من الشعراء مَنْ تحوّل إلى كتابة الرواية فعلا- ويمكن الإشارة إلى الشَّاعر اللبناني "بول شاوول" إذْ يؤكّد أن "العولمة" همّشت الشعر وأعلنت نهايته وانحصاره لصالح الرواية (شاوول، 2008)، وهو موقف مُجحف –في نظري على الأقل- فالمواقع الإلكترونية، والوسائط الاجتماعية، والمؤسسات الثقافية الافتراضية هي أكثر المناخات استقطابا للشعراء إضافة إلى القنوات التلفزيونية المختصة بالشعر تحديدا كقناة البابطين للشعر، دون إغفال الإشارة إلى مسابقات ذاع صيتها على غرار "شاعر المليون" و"أمير الشعراء" بالإمارات العربية المتحدة، وما تحشده هذه المسابقات من دعم إعلامي وإشهاري غير مسبوق ما يعني أننا أمام فتح صناعي شعري بامتياز نتيجة للتحولات

المشهودة. ليس الشِّعرُ –كما يقول واسيني الأعرج- " مآل اليائسين من عشاق الحياة ولكن بداية التفكير الجدي بأن الحياة فعل مستمر يستحق منا أن نندمج فيه بوسيط الحياة نفسها الذي هو الشعر، فمهما طغت العولمة وطغت المادة فالشعر حي نابض بالحياة لا يموت أبد

الدهر.." (الأعرج) وإشهاري غير مسبوق ما يعني أننا أمام فتح صناعي شعري بامتياز نتيجة للتحولات المشهودة. ليس الشِّعرُ –كما يقول واسيني الأعرج- " مآل اليائسين من عشاق الحياة ولكن بداية التفكير الجدي بأن الحياة فعل مستمر يستحق منا أن نندمج فيه بوسيط الحياة نفسها الذي هو الشعر، فمهما طغت العولمة وطغت المادة فالشعر حي نابض بالحياة لا يموت أبد الدهر.." (الأعرج).

- تحولات العناوين.. افتراضية العتبة:

العنوان أهمّ عنصر مكوّن للأثر الأدبي إن لم يكنْ "فيزا" عبوره نحو الآخر/المتلقّي فهو "يشكل قيمة دلالية عند الدارس حيث يمكن اعتباره ممثلا لسلطة النص وواجهته الإعلامية التي تُمارس على المتلقي (...) فضلا عن كونه وسيلة للكشف عن طبيعة النص والمساهمة في فك غموضه" (حليفي، 2005، صفحة 11)، ولعلّ من أبرز التحولات التي شهدتها التجربة الشعرية في عصر "العولمة" بناء العناوين بشكل مختلف ما يرسمُ إحالة مركّزة على العصر بكل تجلياته "الالكترونية" ويؤكد حالة من التفاعل الإيجابي يسجّلها الشّعر لصالحه دون تحفّظ شديد، بعيدا عن القصائد العصماء والمطولات الكلاسيكية التي لم تعد تجد متلقّيها لأسباب ذكرنا بعضا منها. ومن بين العناوين التي تمّ تداولها على نطاق واسع، نجد:

-الحب في زمن الفيسبوك للمصري "عمرو فرج":

"الحب في زمن الفيسبوك" عنوان مجموعة شعرية للشاعر المصري "عمرو فرج"[1] من الجيل الجديد الذي فتح عينيه على "العولمة"، والعنوان -كما نرى- جملة اسمية مكونة من مسند ومسند إليه، فالمسند إليه واقعي "الحبّ" والمسند افتراضي "الفايسبوك"، ما ينبئ بأننا أمام ظاهرة خطابية جديدة تحاول التأسيس لشخصيتها من غير مركّب نقص، فهذا العنوان يحملُ نزوعا جديدا و"قيماً أخلاقية واجتماعية كثيرة" (قطوس، 2001، صفحة 37) ويرصد –كما عبر عنه صاحبه- حالات مزاجية مختلفة.. لا تقتصر على إحساس واحد أو لون واحد، وإنّما تحتوي على كل المتناقضات..

-"أفكار في زمن الفيسبوك" للعراقي "رغيد النحاس":

بدر، هو عنوان رئيسي لمجموعة شعرية تضمّنت 96 نصّا نثريا، عضّده الشاعر بعنوان فرعي في طبعتها الإنجليزية "أفكار في زمن الفيسبوك[2]" **Thoughts in The Time of Facebook**" في إحالة

ضمنية على أجواء هذه النّصوص وتفاعلها مع الراهن بمعطياته الالكترونية الوثّابة، مع إضافة شكلية مهمة تمثلت في تأثيث صفحاتها بعدة صور فوتوغرافية ملوّنة في مقاربة بين النّص واللّون، النّص والصّورة، ما يترك انطباعا جماليا قائما يحاول ترسيخه الشاعر بتقنية متعالية، ورغبة في صنع الاستثناء.

وتشترك مع كثير من المتون الشعرية وحتى السّردية في كون الحافز على الكتابة هو العالم الأزرق بكلّ تمثلاته، أيْ أنّ هذه النّصوص بما تحمله من تراكمات هي انعكاس لتجارب

"فيسبوكية" مفصلية خصوصا ما تعلق منها بسيّر الحب، والجمال، وصناعة الحياة، فكأنّ الحبّ يعيد نفسه لكن بتقنية تعبيرية مختلفة، بمعطيات من صميم الواقع الذي نعيشه لا حبّا بالوكالة –كما في معظم النّصوص الشعرية الحديثة القائمة على الماضي وبكائيات الأطلال، والهجر والفراق، فالعلاقات تستحضرها الصّور مباشرة من غير تزييف، والرسائل عابرة للقارات تسارع الزّمن ولا تتريّث، فالـ:"أس،أم،أس"، و"المسنجر" و"الشات" جعلت من عنصر الزّمن لعبةً لحظيةً تنعدم فيها المسافات وإن ابتعد الحبيب من أقصى الأرض إلى أدناها في بوح لم يكن يخطر على بال قبل عقدين من الزمن فقط!!

واللاّفت في هذا المجموعة الشعرية أنّ الشاعر يرصد علاقة عشق قائمة بين طالب جامعي وأستاذة الفلسفة التي تكبره بنحو 13سنة نظرا للهمّ المشترك بينهما وهو الشعر، ورغم بعدهما عن بعضهما البعض بآلاف الأميال كونهما من دولتين مختلفتين إلاّ أنّ الفضاء الالكتروني كان سبيلهما الأوحد للتعارف ثمّ التلاقي بعد انتقال الأستاذة إلى بلد الطالب الجامعي والتدريس بالجامعة نفسها التي يزاول فيها دراسته لينتهي هذا الحبّ بصورة درامية مفاجئة من طرفها طبعا ويبقى متعلّقا بها على امتداد أربع وأربعين سنة!!وكلّما ولج عالم "الفيسبوك" أو حرّك "السكايب" تذكّرها بحرقة.

غير أنّ ما يميّز هذه المجموعة الشعرية ذلك التقديم الاستشرافي المبني على رؤية خاصة للشاعر، إذْ يتنبأ بنهاية زمن "الفيسبوك"، أو تغيّرَه بعد أربع وأربعين سنة على الأكثر، وهو ما يحاول الإشارة إليه في نصّه "واحد بالبليون" الذي يلتقي فيه حبيبته دون موعد سابق في توقيع إعجاب متزامن على مقروء "فيسبوكي"، فكانت اللّحظة غير المنتظرة تماما، لحظةٌ نسبة تحققها في الواقع أو حتى الافتراض لا تتجاوز الواحد من بليون، يقول:

"بإمكانكم تصور دهشتي
حين كنت أتوقع أن اسمي سيظهر لوحده،
لكنني رأيت الاسم الآخر
يتوهج لحظة قبل أن يستقر الاسمان سوياً جنباً إلى جنب.
سرني أن كلينا كنا نقرأ
ونحب الكلام نفسه؛
هل أقول إن (فيسبوك) وفر لنا فرصة أخرى من بليون فرصة؟" (النحاس، 2018، صفحة 16).

إنّ ما ميّز هذه المجموعة الشعرية التنوّع واللغة العصرية البسيطة المفتوحة على التأويل في توظيف دقيق لكثير من المواقف الحياتية خصوصا الافتراضية منها فقد كان رهين لحظته، ورهين واقعه حتى وإن حاول استقطاب الموروث العربي على غرار اعتذاره لأبي العلاء المعرّي.. إضافة إلى أنماط شعرية مستحدثة على غرار قصائد الومض، أو قصائد "الهايكو" –وإنْ لم يشرْ إلى ذلك صراحة- رغم أنّ "الهايكو" اكتشاف شعري ياباني قديم بعض الشيء إلاّ أنّه بفعل الانفتاح الذي حرّكته "العولمة" صار له مريدوه في التجربة الشعرية العربية الراهنة.

المعجم اللغوي.. من الرسالة إلى الـ.. أس أم أس":

حفلت كثير من القصائد النّثرية بمعجم لغوي جديد يحيل على واقع افتراضي، شكّل خارطتها وأثّث تركيبتها بشكل مائز حينا وماتعٍ أحيانا أخرى، تجعل النّص المكتوب أشبه بكائن "رقمي" يُعضّد اللّغة ويقضّ مضجعها –على استحياء- وهو ما نلمسه في كثير من النّصوص كتوظيف مصطلحات "النت،أس أم أس، موبايل، الفأرة، الإبحار" وغيرها وقد نجد عناوين لنصوص ومجموعات شعرية بهذا الشكل .

- الكتابة الرقمية الشعرية الرقمية:

انفتح الشعر عموما على مجموعة من التمثلات النصّية تكتسب صفة الرقمية لكنها تختلف من حيث الطرح والشكل والروابط، والإضافات:

أوّلا:

الشّعر البصري الرقمي:

نصٌّ يعتمد بالأساس على المؤثرات البصرية كالصوّر والأضواء والألوان والخطوط والرسومات التشكيلية وعلامات الترقيم... إلى جانب مؤثرات صوتية في بعض الأحيان، والمتلقّي في هذه الحالة

يعتمد على حاسة البصر بالدرجة الأولى لتذوق هذه النّصوص والتفاعل معها تدريجيا، أيْ انّه يمنح فرصتيْن للقارئ فرصة التفاعل مع النّص في فضائه اللغوي، وفرصة أخرى للتفاعل في فضائه الصّوري، فالفضاء الأول متاح للقراءة السريعة والمباشرة بخلاف الفضاء الصّوري الذي أعتبرهُ منفذا للحفر في النّص عميقا، واكتشاف مخبوءاته، وتحسّس إيقاعاته ونبضاته. إنّ الفضاء النّصي "معطى للتعرف السريع والمباشر، في حين أنّ الفضاء الصّوري معطى للروية والتأمل المتأنّي ...هذا يعني أنّ الفضاء النّصي يمنح أولويته للعين المسترسلة في القراءة ومسح المكتوب، في حين أن مكونات الفضاء الصّوري تستدعي توقف هذا الإرسال، وتستلزم فترة زمنية للإدراك.." (الماكري، 1991، صفحة 242).

وكنموذج في هذا الشأن نقارب بعض نصوص التجربة الشعرية البصرية الرقمية للشاعر العراقي "مشتاق عباس معن" من خلال قصيدته التفاعلية "لا متناهيات الجدار الناري" (مشتاق) بعد تجربته النّاجحة "تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق"، فقد وظّف في تجربته الجديدة ما أمكن كالموسيقى، والصّور، والألوان، واستعان بمصفّف رقمي "تقني برمجة بصرية"، وموزّع فنّي لينفّذ الرؤية السمعية فنياً كذلك على نحو خلفيات موسيقية، فكانت (اللامتناهيات) ذاتية التخطيط والتنفيذ والتصميم -كما صرح بذلك شخصيا لوكالة "نون" الخبرية- وأضاف إلى التفاعلية تقنية الاستكشاف –كما يقول- بمختلف مؤشراته كالبحث، والتوقع، والإضافة بالفهم أو الوعي وغيرها، إذ تضمنت كل نافذة أسراراً تقنية تُستكشف من قبل المشارك (المتلقي) عبر التفاعل بالاستكشاف (وكالة نون الخبرية، 2017)..

تضمنت هذه التجربة الجديدة 12 مقطعا شعريا يقابلها 12 رقما رومانيا في الساعة "المدخلية" للجدار – أي عدد المقاطع بعدد الساعات- يقول في المقطع الثالث:

"أما آن أن تشتهيك الفصولْ؟
يا باقةً من رماد الأضاحي اليبيسة! . . .
يا بؤبؤاً يشتهيه الظلام
ويغفو على حاجبيه الغبار
هزَّ مرة:
غيمَ أوجاعنا كي يسيل الأنين ؟!
هزَّ مرة:
نعشَ أولادك المتعبين ؟!
هزَّني مرة:
. . . . . .
لا تكن
كالتي
أحصنت
فرجها
بالبغاء"! . . .

ثانيا:
الشعر الجمعي:
شكل شعري رقمي جديد يشترك في تأليفه عدة شعراء تُستخدم فيه مختلف الوسائط المتعددة ويدلو فيه كلّ شاعر بدلوه حسب قناعاته وتجربته الشعرية وفرادته الإبداعية على أنّ الفرق بينه وبين النصوص البصرية الرقمية هو تعدد المؤلفين، فكلّ شاعر يفضي بمكنوناته النصية دون شروط معينة تتعلق بحجم النص أو عدد مقاطعه، وله أنْ يوظف ما يراه مناسبا من مؤثرات لإضافته الخاصة به، فتتعدد المشاركات ويتوسع النّص على اللانهائي بتوسيع جغرافيته خصوصا إذا كان الشعراء من أوطان مختلفة وثقافات متعددة أيضا، وكلما زاد عدد المشاركات كان النّص أكثر استقطابا وأوسع حيّزا، وأطول عمرا، وكسر بذلك احتكارية المؤلف الواحد، فالإبداع محمول إنساني شامل عابر للحدود والقارات، قافز على الإيديولوجيات والتكلس، وعليه يمكن القول: "إنّ القصيدة الجمعية هي قصيدة متعددة الجنسيات والثقافات، قصيدة تخرج عن الأنا الواحد الذي اعتدناه في القصائد التقليدية الورقية، إلى تعدد الأنا واختلافه وتشابكه، مع الحفاظ على تماسك القصيدة العضوي والتقني." (يونس، 2012، صفحة 104)

وما يلاحظ تهافت الاهتمام بهذا الشكل الشعري مقارنة بسابقه، فالقصائد الجمعية- منذ قصيدة "المرساة" سنة 2007م التي اشترك في تأليفها عدد معتبر من الشعراء " منعم الأزرق، ثريا حمدون، عبد القادر السكاكي، محمد فري، جمال المجدالي، أحمد قايقاي، عبد الكريم أكروح، العربي لغواتي، محمد عماري.." (قصيدة المرساة) وقبلها قصيدة "ميدوزا" -لم نجد لها أثرا ما يعني أنّ مسؤولية الشعراء قائمة في هذا الشأن للدفع أكثر بهذا الشكل الشعري

الإيجابي – في نظري على الأقل- نظرا لعالميته وقدرته على التجلّي والتشابك وبالتالي خلق صناعة شعرية جامعة تُقدّم الشعراء لقرائهم دون "بروتوكولات" أو "مواعيد مسبقة".
ثالثا:
القصيدة التفاعلية:
تُعرفها الدكتورة "فاطمة البريكي" بأنها "نمط من الكتابة الشعرية لا يتجلى إلاّ في الوسيط الإلكتروني، معتمداً على التقنيات التي تتيحها التكنولوجيا الحديثة، ومستفيداً من الوسائط الإلكترونية المتعددة في ابتكار أنواع مختلفة من النصوص الشعرية، تتنوع في أسلوب عرضها، وطريقة تقديمها للمتلقي/المستخدم، الذي لا يستطيع أن يجدها إلاّ من خلال الشاشة الزرقاء، وأن يتعامل معها إلكترونياً، وأن يتفاعل معها، ويضيف إليها، ويكون عنصراً مشاركاً فيها" (البريكي، 2006، صفحة 77)، وعليه فإنّ التجلّي في الوسيط الإلكتروني الرقمي والاعتماد على التقنيات التي تتيحها التكنولوجيا والاستفادة من الوسائط الإلكترونية المتعددة في تأثيث النصوص الشعرية، وابتكار طرق عديدة لعرضها كتوظيف المؤثرات الصوتية والبصرية واعتماد تقنيات النّص المتفرع والنّص التشعبي لاستقطاب التفاعل والإعجاب والإضافة ..كلها محددات إبستمولوجية تثري القصيدة التفاعلية وتميّزها عن سابقاتها، ولا تحقق هذه القصيدة تفاعليتها إلاّ إذا تحققت وظائف المتلقي الرقمي –سبق الإشارة إليها في هذه الدراسة- وهي "الإبحار، والقراءة، والتأويل، والكتابة والمشاركة..."
ولا يختلف كثيرا هذا التعريف عما ذهبت إليه "عبير سلامة" في بحثها (الشعر التفاعلي، للعرض، طرق للوجود) حيث خلُصتْ إلى أن القصيدة التفاعلية قصيدة يمكن للمتلقي الاشتباك مع نصّها بالفعل، كما تمنح المتلقّي فرصة التدخل التقني في نصّ يُفترض عدم اكتماله، هي قصيدة قيد التشكيل يمكن الاشتباك معها بفعل-كما تقول-.
على أنّه يمكن إدراج هذه القصائد في أقراص مدمجة والتفاعل معها دون الحاجة إلى شبكة الأنترنت على نحو ما فعل الشاعر العراقي "عباس مشتاق معن" حين استثمر الأقراص المدمجة في عرض تجربته الشعرية "تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق 2007م" قبل نشرها على الشبكة العنكبوتية إضافة إلى تقنيات النّص المتفرع؛ كما أنّه يمكن تبادلها عبر البريد الإلكتروني.
عن انسحاب الشعر لصالح الرواية.. الفرضيات والأرقام:
- هل استطاع الشِّعر فعلا وبهذا المكسب المعجمي الجديد الذي هدم "المواضعات اللغوية" المعروفة أن يجدّ ضالته في استباق التّحول واستيعاب ما يدور حوله من نقاشات تؤكد غالبيتها انسحاب الشعر لصالح الرواية، وانكماش مقروئيته بشكل لا يحتاج إلى تدليل؟ وهل أنَّ الشِّعر تعرض للافتراس المبين من الرواية –كما يذهب إليه مازن معروف- فعلا؟
المسالة غاية في الإحراج خصوصا حين تضعنا أرقام "المبيعات" الورقية على المحكّ، فطبع "مجموعة شعرية" لا يتعدّى في أحسن الأحوال 5 آلاف نسخة لشاعر مُكرّس تمام التّكريس، أيْ اسم له قراؤه ومريدوه على نطاق واسع، غير أنّ هذا الرقم يبدو مجهريا بالنسبة للرواية، وبلغة الأرقام فإنّ اكتساح الرواية ماثل للعيان ولا ينكر ذلك إلاّ من جهلَ

ظروف نشر و"تسويق" الرواية في زمننا هذا، فعلى سبيل المثال لا الحصر فقد تصدرت الرواية قائمة الكتب الأكثر مبيعا في منافذ البيع "كينوكيا"، و"بوردز" و"فيرجن" بدولة الإمارات منها: "ساق البامبو" للروائي "سعود السنعوسي"، و"شوق الدرويش" للروائي السوداني " حمور زيادة" و"كبرت ونسيت أن أنسى" للروائية الكويتية " بثينة العيسى"، و"قواعد العشق الأربعون" للروائية التركية "إليف شافاق".. و"ساق البامبو" للروائي "سعود السنعوسي" و"دريب الغاويات" للروائية الإماراتية "سعاد العريمي"، و"قميص يوسف" للروائي الإماراتي "سلطان فيصل"، و"هناك" للروائي السعودي "إبراهيم عباس"، ورواية "فلتغفري" للروائية السعودية "أثير عبد الله النشمي"... (جريدة البوابة) في غياب عنوان شعري واحد ضمن هذه الإحصائية الجديدة التي تؤكد بما لا يدع مجالا للمقارنة تزعّم الرواية "بورصة" المبيعات وبالتالي اتّساع المقروئية.

لقد أسهمت الجوائز الخاصة بالرواية –جائزة الطيب صالح /البوكر/كتارا..-كثيرا في قلب الطاولة لصالح الرواية، مع ما تقدمه من حوافز مادية مهمّة، وأخرى "لوجيستية" كالنشر على نطاق واسع، والترجمة إلى مختلف اللغات العالمية، والمتابعة المستمرة للحراك الروائي ما يشجع على "النّزوح" طلبا للرواية خصوصا من الشعراء حيث نجد الكثير من التجارب في هذا الشأن على غرار الفلسطيني"إبراهيم نصر الله"، والشاعرين الأردنييْن "أحمد أبو سليم" و"جلال برجس" وغيرهم.. من هذه الجوائز نجد:

أنّ الدور المحفّز لهذه المسابقات يجعل دور النشر العربية تغيّر وجهتها لصالح الرواية، خصوصا وأنّ هناك جوائز مخصصة لدور النشر أيضا، ما يعني وجود حركية نشر نشطة، ومستمرة بحثا عن الجديد ورغبة في التألق والتميّز وتوسيع المبيعات والانفتاح على معارض الكتاب العربية التي تقام هنا وهناك ما يضمن عائدات مادية معتبرة لدور النّشر، ومن الطبيعي في ظل هذه المعطيات أن يشعر الشعر والشعراء باليُتم، يُتمٌ فرضته قواعد "سوق النّشر" بالدرجة الأولى، فأزمةُ الشعر – إن كانت هناك أزمة فعلا- ليست أزمة نصّ، وإنما أزمة "تجارية/ترويجية" بالدرجة الأولى ليس له يد فيها وإنّما كرّستها معطيات "اقتصادية" جديدة، زيادة على هجرة كثير من الشعراء نحو كتابة الرواية، ولو أنّ هذا النزوع لا يضع حدودا فاصلة بينهما-كما يشير إلى ذلك منصف الوهايبي- فالتجربة الشعريّة "لا تنفصل عن تجربة الحياة، وما نعدّه شعرًا، إنّما هو تحويل شكل لغويّ إلى شكل من أشكال الحياة، وتحويل شكل من أشكال الحياة إلى شكل لغوي. والنصوص السرديّة أو «الرواية» التي ينزع إليها الشعراء الآن- وأنا أحدهم فقد نشرت ثلاث محاولات روائيّة، وشرعت في الرابعة- تحمل الشعر في مطاويها. ولا أقصد لغة الشعر، إنّما ما يفيض عن الشعر. وهناك موضوعات وتفاصيل وشوارد، قد لا يتّسع لها الشعر، ومن ثمّة يلجأ بعضنا إلى الرواية أو القصّة " (ندوة مآلات الشعر العربي، 2016).

في حين أن "محمد علي شمس الدين" ينفي هذا الحكم القاسي للاجدوى الشعر جملة وتفصيلا، ويؤكّد أنّ التّطور المذهل المشهود حاليا يجعل لغة "القصيدة أكثر تفوقًا وخصبًا. هذا التطور الذي يصل اليوم إلى اللحظة العنكبوتية للعالم؛ الإشارة والبارقة والرقم وما إلى ذلك، ما يجعل الشعر من أكثر الفنون قلقًا. وما نشهده اليوم هو التحول في مفهوم اللغة وانتقالها من البلاغة الكلاسيكية إلى برق الإشارة، ومن مفهوم الوزن إلى متاهة الإيقاع؛ إذ

يختلط النسق بالفوضى، والشعر بالنثر، والشاعر بالمتلقي، فنشأت مع التطور الإلكتروني قصائد الفيسبوك، والقصائد الفورية، ونص الموبايل، والنص الجماعي، والنص الرقمي التفاعلي أو الهايبر- تكست... هي تجارب كثيرة على كل حال تحاول اليوم أن تغير من مفهوم ارتباط القصيدة باللغة والوزن والإيقاع وهو ارتباط تاريخي وثني أو ديني إلى حدود كبيرة. وتسعى لاعتبار الشعر هباء الإشارة الإلكترونية. إنها تحاول..." (ندوة مآلات الشعر العربي، 2016).

لقد غدت الرواية " تعبيرا عن الحساسية العربية الراهنة وفي مؤلفات دسمة وضخمة من حيث الحجم تجاوز بعضها الخمسمائة صفحة، دون أن يقف الحجم أمام شهية القارئ العربي النهم لكل ما هو جيد، فأزاحت الشعر من على برجه العاجي واقتنع معظم الشعراء بدواوين في بضع صفحات، بعدما ضاعفت الرواية المعاصرة من سرعتها مع تزايد قرائها، وكثرة إصداراتها.. خاصة وأن الرواية تمكنت تصوير الواقع والغوص في نفسية وشخصية الإنسان العربي ولم تترك شيئا ماديا أو معنويا مرتبطا بهذه الشخصية إلا شرحته وفصلت فيه..." (الداديسي، 2016).

يمكن القول في النهاية أنّ "العولمة" –رغم كل ما يقال عنها- نفضت الغبار عن كثير من "المسلّمات" الشِّعرية التي لم تعد قادرة على تقديم الإضافة ولا أنْ تجاوز ذاتها، وفتحت أعين الشعراء على فضاءات أرحب يميّزها التنوع والإبهار في بناء النّصوص ونقلت تجارب شعرية عالمية جراء الترجمة والتواصل الإلكتروني حتى وإنْ لم تكن بالقدر الذي ينتظره أو يبحث عنه الشّعراء لتوقيع حضور أكثر تأثيرا وأنقى تجربة.

التعاليق والشروح:

- صدر هذا العمل عن مؤسسة يسطرون للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م
- صدرت عن منشورات كلمات، سيدني، أستراليا، 2018م، بالعربية والإنجليزية

قائمة المراجع:

1- الكبير الداديسي. (20 يونيو, 2016). الرواية العربية بين النّقد والإبداع. تم الاسترداد من موقع الرواية:www.alriwaya.net
2- إيمان يونس. (2012). تأثير الأنترنت على أشكال الإبداع والتلقي في الأدب العربي الحديث (ط1). فلسطين: دار الأمين للنشر والتوزيع.
3- بسام موسى قطوس. (2001). سيمياء العنوان (ط1). عمان: منشورات وزارة الثقافة.
4- بول شاوول. (28 فبراير, 2008). العولمة قتلت الشعر، قراءة: حسين محمد. جريدة الاتحاد الإماراتية.
5- جريدة البوابة. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من قائمة الكتب الأكثر مبيعا: www.albawaba.com/ar
6- - رغيد النحاس. (2018). بدر (ط1). سيدني، استراليا: منشورات كلمات.
7- - شعيب حليفي. (2005). هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل(ط1). الدار البيضاء: دار الثقافة للنشروالتوزيع.
8- - فاطمة البريكي. (2006). مدخل إلى الأدب التفاعلي. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
9- قصيدة المرساة. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من منتديات المرساة: t=1229&http://imzran.org/mountada/viewtopic.php?f=34
10- محمد الماكري. (1991). الشكل والخطاب،مدخل لتحليل ظاهراتي (ط1). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
11- مشري بن خليفة. (2007). الشعر العربي في عصر العولمة. مجلة الأثر، العدد السادس.
12- معن عباس مشتاق. (بلا تاريخ). لامتناهيات الجدار الناري. تم الاسترداد من الموقع الرسمي للأستاذ عباس مشتاق معن: dr-mushtaq.iq/My-poetry-works/Interactive-digital
13- ندوة مآلات الشعر العربي. (31 أغسطس, 2016). هل غادر الشعراء من متردم؟ تم الاسترداد من مجلة الفيصل: www.alfaisalmag.com/?p=3076
14- واسيني الأعرج. (بلا تاريخ). ندوة الشعر والعولمة. تم الاسترداد من مجلة اصوات الشمال الإلكترونية: a=706&www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98
15- وكالة نون الخبرية. (17 سبتمبر, 2017). البروفيسور مشتاق عباس معن يصدر قصيدته الرقمية الثانية (لا متناهيات الجدار الناري). تم الاسترداد من http://www.non14.net/92672